

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

أ.د. أمنة نصير*

تمهيد

من المؤكد في شواهد التاريخ وأخباره عن أوضاع المرأة في العصور الغابرة وتحت مظلة الحضارات المختلفة من اليونان إلى الرومان، والفرس وكذلك عند بني إسرائيل، وفاقت هؤلاء عند العرب في الجاهلية، ففي كل هذه الحضارات حوصرت المرأة بالذل والهوان في كل مكان، حتى أتى الإسلام، وغير مسار الفكر البشري الذي اختل بتغيير النظرة الشاملة التي تليق بالإنسان الذي كرمه الله رجلاً كان أو امرأة عربياً أو غير عربي. ابيض كان أو أسود، وبتغييره لهذه النظرة الجديدة إلى المجتمع والعلاقات التي يجب أن تربط بين أفراد مؤمنين كانوا أو كفاراً، كتابيين.... أو منافقين مذنبين، وبتغيير النظرة الإنسانية إلى الأشياء كل الأشياء وبما يتفق وهذه النظرة الربانية إلى الإنسان والكون والحياة، وما بعد الحياة.

وأول ما يطالعنا في الإسلام نظرتة إلى الرجل والمرأة أنهما متساويان في عمارة الأرض بالتناسل، مع المشاركة التامة لا امتياز فيه لأحدهما على الآخر، فأخوة النسب البشري، يقول تعالى فيها: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وإنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"^١.

وفي قوله تعالى: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف"^٢ فلفظ الناس في النداء الإلهي يشمل الإنسان كافة رجالاً ونساء. وفي الحديث الشريف ما يؤكد على هذه الحقيقة بقوله ﷺ: "إنما النساء شقائق الرجال"^٣.

* أستاذ الفلسفة الإسلامية - كلية الدراسات الإسلامية - جامعة الأزهر

^١ الحجرات/١٣

^٢ البقرة/٢٢٨

^٣ رواه أحمد وأبو داود والترمذي

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

- الإسلام ينظر إلى الرجل والمرأة أنهما متساويان في عمارة الأرض بالتنازل، مع المشاركة التامة لا امتياز فيه لأحدهما على الآخر: "سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعملون".⁴

- كما استحق كل منهما الكرامة المتساوية عند الله على الأعمال الصالحة والعبادة الخالصة، ومصدق كل ذلك في قوله تعالى: "المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم، وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم".⁵

- ويقول عز من قائل: "ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً".⁶

- ولا بد أن ندرك أن نظرة الإسلام إلى "الإنسان" فيما له من حقوق، وفيما عليه من واجبات هي نظرة واحدة إلى جنسية من الرجال والنساء دون تمايز ولا تفاضل بينهم وذلك :

* في استخلاف الله للإنسان بجنسيته من رجال ونساء على الأرض، ومطالبته لهما أي الرجل والمرأة، بواجب القيام بعمارة الأرض، وتحمل المسؤولية في ذلك أمام الله على السواء.

* وكذلك في إيجاب عبادة الله عليهما من غير تمايز بين الجنسين في الوجوب وفي الثواب والعقاب.

والجدير بالذكر أن نظرة الإسلام إلى وحدة الأسرة البشرية منذ ظهوره وتأكيد به كل وضوح وصراحة برفض "التمييز" في حق الحياة بين الأجناس، والأعراق والأقوام والأديان،

⁴ يس / ٣٦

⁵ التوبة / ٧١-٧٢

⁶ النساء / ١٢٤

وإقراره بحق الحياة الكريمة التي تصون للإنسان كرامته أيًا كان هذا الإنسان، له أن يتمتع بهذه الكرامة الممنوحة له من الخالق سبحانه وتعالى منذ أن خلقة وكرمه في البر والبحر وسخر له هذا الكون، وبذلك قضى الإسلام على كل تمييز بين جنس الرجل وبين جنس المرأة في حق ممارسة هذه الولاية من قبل أحدهما على الآخر، وبذلك سوى الإسلام في الكرامة ما بين الجميع في حق كل منهما في هذه السلطة "الأمرة والناهية".

بعد هذا التمهيد في منهج الإسلام في نظرتة للإنسان النظرة المتحضرة والراقية والتي تتفق مع سمو هذا الدين نقف أمام تكريم الإنسان بالعلم وتحمله هذه الأمانة والمسئولية المترتبة على هذا العلم للمرأة والرجل على السواء، ثم نؤكد على هذه الحقيقة لنقف أمام ثمة تكليف الإنسان بطلب العلم من منطلق أنه فريضة كيف أثرت هذه الفريضة وهذا التكليف أعظم النساء على مر فترات التاريخ الإسلامي في مشرقه ومغربيه.

الإنسان وفريضة العلم والتعليم:

مما لا شك فيه أن تكريم الله للإنسان بنوعية الرجل والمرأة - بالعلم كان جزءاً أصيلاً في تهيئة الإنسان للاستخلاف في الأرض "وعلم آدم الأسماء كلها" إلى ما تهياً في فطرة هذا الخليفة الإنساني واستعداده عن علم ما لم يعلمه - الملائكة. فثنين وجه استحقاقه لمقام الخلافة في الأرض، وأن كل ما يتوقع من الفساد وسفك الدماء لا يذهب بحكمة الاستخلاف وفائدته ومقامه، وناهيك بمقام العلم وفائدته وسر العالم وحكمته".⁷

ولذا فعلياً أن ندرك عظمة هذا التكريم بالعلم ونقدر ما أودع في فطرتنا لتلقيه، وأن نسعى ونجتهد في تكميل أنفسنا بالعلوم لتظهر حكمة الله فينا، ولعلنا نشرف على معنى إعلام الله الملائكة بفضلنا ومعنى سجودهم لأصلنا، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ويخبرنا الزمخشري على خلافة لآدم في الأرض وفي علمه الأسماء إلى عموم الجنس الآدمي، وولفت النظر إلى أن الاكتفاء بذكر آدم عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر القبيلة في قولك: مضر وهشام، وذلك التعميم، هو ما يفهم من عبارة الشيخ محمد عبده: "فيصح أن يكون معنى الخلافة عاماً في كل ما ميز الله به الإنسان على سائر المخلوقات".

⁷ الشيخ محمد عبده/ تفسير الذكر الحكيم ٢٥٢/١

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

ونوضح أن ما جاء في قول الملائكة : "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا" نفسي كل علم كسبي عن جنس الملائكة، على حين يتميز الإنسان دون سائر الكائنات الأخرى، بالقدرة على تحصيل العلم الكسبي، واستعداده لكسب المعارف الوضعية، وهذا ماذهب إليه الشيخ محمد عبده: "... وكل حى من الأحياء المحسوسة والغيبية، فإن له استعداداً محدوداً، وعلماً الهامياً محدوداً وعملاً محدوداً..."

ومن الجدير بالذكر أود أن ألفت النظر إلى تكريم الله للإنسان - الرجل والمرأة - وفخره على الملائكة حينما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الأنباء - على سبيل التبكيت، وإن كنتم صادقين في زعمكم أنني استخلف في الأرض مفسدين سفاكين ... إرادة للرد عليهم وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها، ما يستحقون لأجله أن يستخلفوا فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر اختلافهم.^٨

فعناية الإسلام في بيان الاعتبار والتقدير الذي تقتضيه منصب الخلافة التي بنيت وقدرت على العلم وبه تفوق وتميز آدم وذريته وهو : أنها أسماء الأشياء علوية أو سفلية، جوهرية أو عرضية، ويقال لها أسماء الله تعالى عندهم باعتبار دلالتها عليه وظهوره فيها غير متقيد بها.

ولهذا قالوا : أن أسماء الله تعالى غير متناهية إذ مامن شئ يبرز للوجود من خبايا الجود، إلا وهو اسم من أسمائه تعالى وشأن من شئونه عز شأنه وهو الأول والآخر والظاهر والباطن^٩.

ومهما اختلفت الأقوال حول مفهوم الأسماء التي علمها الله لأدم فإننا نخرج بحقيقة هامة وهي : "أن العلم بأنواعه ومسمياته المختلفة من المراتب السامية التي كرم الله بها آدم وذريته، وبه فضله على جميع ما خلق".

والمعلوم أن أول آية نزلت على النبي ﷺ من عند الله هي : "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم".

^٨ أنظر / كتابنا إنسانية الإنسان في الإسلام/ ٦٢

^٩ الألويسي / ج ١ / ٢٢٤

هذا شئ جديد لم يكن للعرب به عهد من قبل. أنه تشریف للإنسان، وتكریم له، حين یقرأ ویتعلم، ویكتب بالقلم، لیست قيمة الإنسان فی هینته وصورته، ولا فی بأسه وقوته، ولا فی إقباله على شهواته الحسية فهذه یشاركه فیها الحيوان ، وإنما الذي یمتاز به الإنسان حقاً على غیره من أنواع الحيوان، وما به یشرّف ویرقی ویتحضر ویعمر الأرض، ویستحق أن یكون خليفة الله هو اكتسابه العلم، والبدا بأول درجة من درجاته وآلة من آلاته وهی القراءة والكتابة^{١٠}. فكان النبی - علیه الصلاة والسلام أمياً لا یقرأ ولا یكتب ولكنه وهو النبی الأمی أثر أن یفتدی أسرى غزوة بدر بتعليم كل أسیر عشرة من أبناء المسلمین القراءة والكتابة ، ففي هذا الصنيع حکمة تدل على القيمة الکبيرة التي رفع النبی إليها منزلة القراءة والكتابة وعنه ﷺ : "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جاریة أو علم ینتفع به أو ولد صالح یدعو له".

وفي السنة الصحيحة أيضاً فی الحث على طلب العلم وتعليمه للإنسان الرجل والمرأة : "تعلموا العلم فإن تعلمه خشية" وطلبه عبادة "ومذكراته تسبیح" والبحث عنه جهاد" وتعلمه لمن لا یعلمه صدقة " وبذله لأهله قرية".

"أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد.. أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل.. وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسیافهم على ما جاءت به الرسل".

وأكثر من هذا فی تفضیل العلماء على المنقطعين للعبادة فیما روى عنه ﷺ "یبعث الله العالم والعابد، فیقال للعابد أدخل الجنة ویقال للعالم أشفع للناس كما أحسنت أديهم".

وكذلك قول الإمام علي - كرم الله وجهه : "قيمة كل امرئ وما یحسن" وللفقیه العز بن عبد السلام قول هو : "الغني بالمعارف والأحوال أفضل وألذ من الغني بالجاه والأموال"^{١١}.

ویزخر تراثنا الإسلامي بعناية الخلفاء فی المشرق والمغرب تشجيعهم الترجمة والتألیف، ومجالس الأدب والعلم ومكافأة الشعراء والعلماء والأدباء.

وقد حفل تاریخ الخلافة الإسلامية بأعظم تراث للبشرية فی جميع أنواع العلم والمعرفة، وهذا الازدهار مرجعه الأساسي هو عناية الإسلام بالعلم والعلماء وإنزالهم أسمى المراتب من

^{١٠} أنظر/فؤاد الأهواني/القيم الروحية فی الإسلام.

^{١١} أنب الدنيا والدين - الماوردي ص ٢٦ وقواعد الأحكام ج١، ص ٣١٥

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

التقدير، وعدم الحجر على العقل الإسلامي في الاختراع والإبداع أو إرهاب لعالم أو مفكر، ولذا فإن العلم صفحة سامية في إنسانية الإنسان وبه استحق التكريم والاستخلاف، والتكريم والعلم والاستخلاف للمستخلفين من الرجال والنساء على السواء.

خلاصة ما تقدم :

أولاً : أن الاستخلاف في الأرض للرجل والمرأة على السواء.

ثانياً : أن فريضة العلم والتعلم مطالب بها الرجل والمرأة على السواء.

ثالثاً : أن عائد العلم والثقافة من حق الرجل والمرأة أن يستثمرا هذا العائد لنفع البشرية في جميع التخصصات والمواقع لهذه المعرفة والثقافة، ولكل فرد على قدر طاقته وتحمله وأدائه دون إفراط أو تفريط.

ويؤكد الحق تبارك وتعالى على المساواة بين الرجل والمرأة في القيام بواجبات الحياة "المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله"^{١٢}.

"وما خلق الذكر والأنثى ، إن سعيكم لشتى، فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى".

ففي جمع الذكر والأنثى في القسم قرينة على نظرة الله تعالى المساوية لكل ما يتصل بشئون الدنيا والدين، ولمبدأ ترتيب نتائج سعى كل منهما وفقاً للفعل الذي يصدر عن كل منهما وأدل تقرير قرآني لتساوي الذكر والأنثى في القابليات التي يختار كل منهما عمله وطيقه بها.^{١٣}

حق الفتاة في التعليم

التعليم فريضة واجبة على المسلم دون تفريق بينهما أو مفاضلة ، لكن إذا وجدنا جانباً من التخصيص للتعليم النسوي في بعض مراحل التعليم المناسبة لهذا التخصيص حتى أخرج فتاة تعرف كيف تدير بيتها، من حياكة ، تنظيم وتنسيق وتهذيب، وكيف تربي أطفالها تربية صحيحة

^{١٢} التوبة / ٧١

^{١٣} المرأة في القرآن/محمد عزة دروزة ، ص ٢١

تساعد على ما في فطرتها من أمومة في إطار فيه تنسيق وتنظيم، فهذه كلها أمور دقيقة وعظيمة على ألا يكون هو الجانب الوحيد الذي يسمح له للفتاة أو تعلق له أصوات تدعو إلى قصر هذا الجانب النسوي الوحيد لتعليم المرأة، لأن ذلك فيه ظلم وتحجيم واجتزال للملكات العالية التي وهبها الله لبعض النساء وتهدر تحت فطنة أن هذا هو الشيء الوحيد المباح للمرأة شرعاً أو هذا هو حقها في التعليم أو أن يخرج علينا بعض الأصوات والتيارات التي تدعى أنها تحمل راية الإسلام مثل ما حدث في أفغانستان مؤخراً عندما أغلقوا مدارس البنات، ونادوا بعودة المرأة إلى الحبس في المنازل وهجر التعليم والأمر المخيف في هذه الأصوات أنها تدعى الإسلام، وأن هذه الأعمال من الإسلام ولم تنف هذه الأصوات عند شعب بعينه، كلا فهناك الكثير من الرجال الذين ينتمون إلى الأمم والدول المتحضرة ومن بينها بلندا، منهم ما زال ينادي بحرمان استخدام المرأة لحقوقها في العلم والعمل وممارسة الحياة الاجتماعية والسياسة والأدبية وتحجيم نشاطاتها المختلفة مما يؤدي إلى رد الفعل المعاكس والذي يتسم بالحدة والمغالاة ومهاجمة الشريعة الإسلامية التي يلوح ببعض نصوصها أصحاب هذا الاتجاه دون فقه لهذه النصوص وبالتالي يكون الرفض والتنديد من الطرف الآخر الرافض للشريعة، وللأسف فكلا الطرفين جانبهما الصواب، فالإسلام لم يطالب بحبس المرأة، أو حرمانها من التعليم أو اختزالها في جانب منه فقط كما ادعت بعض النصوص غير الصحيحة وأسوق عبارة واعية لما ثار ودار حول قضايا المرأة للشيخ الغزالي: "الحق أن قضايا المرأة تكتنفها أزمت عقلية واقتصادية، كما أن الأمر يحتاج إلى مراجعة ذكية لنصوص وردت، وفتاوى تورثت وعادات سيئة تترك طابعها على أعمال الناس".

ثم يؤكد الشيخ الغزالي - رحمه الله - على أنه لا بد من دراسة متأنية لما نشكو منه، ودراسة تفرق بين الوحي وما اندس فيه وبين ما يجب محوه أو إثباته من أحوال الأمة.^{١٤}

ونسوق من بين هذه النصوص ما رواه الحاكم في مستدركه بسنده: "لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة" أو ما جاء "دفن البنات من المكرمات أو الحديث الوارد على لسان السيدة فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - "أن المرأة لا ترى أحد ولا يراها أحد، وقد أقر النبي - ﷺ - ذلك وضم ابنته إلى صدره قائل: ذرية بعضها من بعض؟! "

^{١٤} قضايا المرأة بين التقاليد الرائدة والوافدة، ص ١٧٧.

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

وأسوق تعقيب الشيخ الغزالي على هذا الحديث في أحد ندواته: على المستشهد بهذا الحديث والذي يعتبره تشريعاً للعزلة التي فرضها الإسلام على حياة المرأة من المهد إلى اللحد..^{١٥} قلت : إنك تحكي حديثاً منكراً، لم يذكره كتاب سنة محترم، إنك تحكي حديثاً يخالف تواتر من القرآن الكريم والأحاديث الصحاح، وسيرة النبي الكريم وخلفائه الراشدين.. والوضاعون اختلقوا أحاديث تفرض الأمية على النساء وصدقهم المخدعون، فلم يفتحوا مدرسة للبنات، واختلقوا أحكاماً تمنع المرأة من ارتياد المساجد، ومضوا في جهالتهم حتى قصرُوا وظيفة المرأة ديناً ودنياً على الجانب الحيواني وحده. ومن هذه الأحاديث الموضوعية : "ساوروهن وخالفوهن".

ويؤكد الشيخ - رحمه الله - بأنه حديث واه لا سند له ولا نصيب من الصحة وهو يصطدم بالنص القرآني في موضع التشاور في فطام الطفل وفصاله "فإن أراداً فصلاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما"^{١٥}.

كما أنه مخالف لما ثبت في صحيح السنة والسيرة من مشاورته - ﷺ - لزوجة أم سلمة غزوة الحديبية^{١٦} وأخذ برأيها.

رعاية الإسلام للمرأة :

انتهينا فيما سبق بأن الخطاب القرآني بصيغة الناس تؤكد على خطاب الرجل والمرأة على السواء في مجمل ما ورد من الحقوق والواجبات للرجل والمرأة، وعلى رأسها طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وفي سورة البقرة : "ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف"^{١٦} ، وفي الحديث الشريف : "إنما النساء شقائق الرجال".

والإسلام حين فرض العلم على المرأة لا لتختزن العلم في صدرها ولكن لكي تضطلع بمهمة الهداية إلى الخير، وإضاءة طريق الحق لغيرها وإرشادهم إلى سواء السبيل ونسوق كلمات للشيخ رشيد رضا: أن النساء قد اشتركن مع الرجال في اقتباس العلم بهداية الإسلام فكان منهن راويات للأحاديث النبوية والآثار يرويه عنهن الرجال، والأدبيات والشاعرات والمصنفات في العلوم والفنون المختلفة وقد كانت أمهات المسلمين بمثابة معلمات للنساء ومفتيات لهن ، بل كان

^{١٥} البقرة/٢٢٣.

^{١٦} البقرة/٢٢٨.

الرجال حتى الخلفاء يرجعون إليهن فيما يستشكل عليهم في بعض الأحكام الشرعية ولا سيما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.^{١٧}

ونجد المرأة في عهد الرسول - ﷺ - اعتلت مكانة عظيمة ولم يكن هناك ثمة تمييز بين رجل وامرأة بدليل التطبيق الواقعي لذلك في المجتمع المسلم في عهد الرسول سواء في مكة أو بالمدينة حيث كانت أمهات المؤمنين زوجات الرسول - ﷺ - هن المصدر الأوحد الذي كان الرجال يأخذون عنهن ما ينزل على الرسول في بيته من الوحي ويأخذون عنهن كذلك كيف كان مسلك الرسول - ﷺ - في بيته مما له اتصال بحياة المسلمين، ولهذا لما سئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن أخلاقه - ﷺ - قالت كان خلقه القرآن.. يعني أنه كان في حياته الخاصة يتصرف وفق أوامر القرآن ونواهيه ولهذا فقد قام - ﷺ - بمبايعة النساء كما فعل تماماً مع الرجال.. وحفل التاريخ بنماذج كثيرة وعظيمة من السيدات اللاتي نشأن في عصر النبوة وكان لهن فيه وجود بارز وعظيم بسبب ما أتيح لهن من الثقافة التي كانت طابع المجتمع آنذاك معتمدة على تعلم القرآن وتعلم السنة النبوية بناء على التوجيه الذي يقول فيه الرسول - ﷺ - "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

وكانت السيدة عائشة - رضي الله عنها - تمتدح نساء الأنصار لرغبتهن في التعلم والفقهاء في أمور الدين: "نعم النساء" نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" ويؤكد على أهمية العلم للمرأة ووجوب طلبه في كل العمر فيقول "المرأة شخص مكلف كالرجل، فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها لتكون من أدائها على يقين"^{١٨}.

وسوف نتناول في الصفحات القادمة نماذج من النساء سواء في عهد النبوة أو في العهود التالية نماذج حية وفاعلة في تاريخ الأمة المسلمة في مجال العلم والثقافة والمشاركة في الميادين العامة للدولة وفي الجهاد، والتعبئة، وحراسة المجتمع من المتسللين أو المتخاذلين وعندما دعت الضرورة إلى عمل شئ في ميدان المعارك كانت لهن مهمة ضرورية في صفوف المقاتلين، وخلف خطوط القتال في رعاية الجرحى وتموين المقاتلين وحصاد كل هذا لا يتأتى إلا بالعلم والثقافة التي أكدتها الشريعة الإسلامية للرجل والمرأة.

^{١٧} حقوق الإنسان في الإسلام، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٥، ص ٣.

^{١٨} أحكام النساء، ص ١١.

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

وفيما ورد عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - في بيان ما منحه الإسلام للمرأة من مكانة وكرامة وفضل : "والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم".

وقد جاءت هذه النصوص والروايات الوارد ذكرها تقريراً لأمر هام وواضح لا جدال فيه، لحقوق المرأة المسلمة شأنها شأن الرجل، وهو تحول جذري وخطير في النظرة إلى المرأة بهذه المكانة، ورفع شأنها تماماً مثل الرجل والتأكيد على مكانتها ودورها في أوجه النشاط الثقافية والعلمية والاجتماعية والسياسية ، بعبارة موجزة التأكيد ودورها الحيوي في أوجه جميع الحياة ودون تراجع أنه من الحق تعالى : فهذه "عاتكة بنت زيد" تشهد جماعة المسجد، عن ابن عمر قال : كانت امرأة لعمر بن الخطاب تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار ؟ فقالت : وما يمنعه أن ينهاني ؟ قال : يمنعه قول رسول الله - ﷺ - : "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله".

الرعاية النفسية والاجتماعية للفتاة في الإسلام:

شاع في الجاهلية وأد البنات خشية من الفقر أو العار، وقد أشار القرآن الكريم إلى طرف من ذلك، فقال : " ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً" ^{١٩}.

ورغم ما قيل من أن عادة الوأد لم تكن مستشرية بين جميع القبائل، وهذا أمر مفروغ منه وإلا انقرضت النسوة وترتب على ذلك انقراض الرجال، ولكن عادة الوأد شاعت بين قبائل ربيعة وكندة وتميم ، هذا رأى، وهناك الرأى الآخر أن هذه العادة الذميمة التي جاء الإسلام وحرّمها وقضى عليها كانت شائعة بين الجميع، ولكن لم يكن الجميع يقومون بها، بل كان يقبل عليها واحد ، ويتركها عشرة. ^{٢٠}

^{١٩} الإسراء/٣١

^{٢٠} أنظر بلوغ الأرب ، ٤٢/٣.

والإقبال على هذه العادة القبيحة له عدة أسباب أشرنا على الأولى وهو خشية الإملاق* أما السبب الثاني هو العار الذي كان مبعثه السبى والأسر، فالعربي مهما كان قدره من الجاه والمنزلة كان أنوفاً ييغض المذلة والهوان الذي كان يجلبه عليهن سبى البنت إذا ما كبرت ووقعت أسيرة عند الأعداء في الحروب التي كانت منتشرة بين القبائل آنذاك.

السبب الثالث : هو العار الذي كان سببه الخوف من ألا تتزوج البنت بمن هو كفء لها، ويفسر لنا هذا الاتجاه ذلك الحديث الذي دار بين الرسول -ﷺ- وبين قيس بن عاصم المنقري، فقال رسول الله : " كنت أخاف الأحداث والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنت قط، إلا وأدتها"، وقد أمره النبي -ﷺ- أن يعتق عن كل مؤودة رقبة، فقال له أبو بكر: ما الذي حملك على ذلك وأنت أكثر العرب مالاً، قال : مخافة أن ينكحهن مثلك، فتبسم رسول الله وقال : هذا سيد أهل الوبر^{٢١}.

السبب الرابع: العار الذي كانت تحفز إليه المظنة بواعث التشاوم من أن تولد البنت: برصاء أو جزماء إلى آخر العيوب التي كان ينفر منها العربي بطبعه، ومن هنا اندفعوا يندون البنات.^{٢٢}

وجاء الإسلام وقضى على هذه العادة البشعة وأكد على المساواة والتكريم: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام".^{٢٣}

ومن مقومات هذا الأصل المشترك: تسمية الرجل والداً والمرأة والدة، وصدق الله حيث قال : "وبالوالدين إحساناً".^{٢٤}

* وقد نهض من سادات العرب من حرب لود وعمل على تلقية بم يبدله من ماله واحتضانه لهؤلاء الفتيات، والقيام على تربيتهن كهذا الذي صنعه "صعصة بن ناجه" الذي كان يلتمس من جاءها المخاض، فيغدو إلى رجلها، ويستو به حياة مولوده إذا كانت أنثى حتى لقب بـ "مجي المؤودات" وأيضاً "زيد بن عمرو بن نفيل" صنع نفس الصنيع حتى جاء الإسلام وقضى على هذه العادة القبيحة.

^{٢١} أنظر محاضرات الأبياء، ٢٠٥/١، الأغاني، ١٤٣/١٢.

^{٢٢} أنظر بلوغ الأرب ٤٣/٣، والسيرة الحلبية ٥٠/١.

^{٢٣} النساء، آية ١

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

لقد كانت الإصلاحات العظيمة التي قدمها الإسلام، وهي كم هائل من القوانين وفي فترة زمنية وجيزة، وفي جو كان يسود فيه سحق المرأة في كل الأنظمة لدى الأمم التي كانت قبل الإسلام، هذه الحقيقة كانت مثار إعجاب كثير من كتاب أوروبا المنصفين الذين أدركوا الظلمات التي كانت تعيش فيها المرأة في العصور الوسطى في أوروبا فنجد "إدوارد مونتييه" أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف، وفي مقدمة كتابه لترجمة القرآن الكريم يقول : "إن إصلاحات محمد قد حققت تقدمات ذات أبعاد غير متناهية وذلك لدرجة تجعل محمداً في عداد أكبر العظماء الخادمين للإنسانية، وأن إصلاحاً واحداً قام به محمد، وهو تحريم وأد البنات حين ولادتهن يكفي لأن يعطي محمداً اسماً غير منسي من التاريخ".

فلم تقف الإصلاحات عند تحريم الوأد بل المساواة في مجال الذكورة والأنوثة ، أما باعتبارها أنثى ، فلها حق المساواة بأشقائها الذكور ، ومن الخطأ التفرقة بين البنت والولد في أي ناحية من النواحي ، لأن ذلك يغرس فيها كراهية أبيها كراهية أختها ، الرسول - ﷺ - يأمر بالمساواة، يضرب مثلاً طيباً في الأمر الهام نفسياً اجتماعياً ، فيقول : "ساووا بين أولادكم في العطية ولو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء" ^{٢٥}

ويعطى صلوات الله عليه مثلاً عظيماً في تعامله وتعاطفه وحبه لابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها : "ريحانة أبيهما ، ورزقها علي الله" .

وفي قوله - ﷺ - : " من عال بنتاً وجبت له الجنة " .

" من دخل السوق فاشتري تحفة فحملها إلى عياله ، كان كحامل صدقة إلى قوم محايير وليبدأ بالإناث قبل الذكور " .

وفي الحديث الشريف أيضاً فيما رواه ابن عباس : " من كانت له ثلاث بنات ، أو ثلاث أخوات فعلمهن وأدبهن ، واتقى الله فيهن ، حتى يغنيهن الله ، فله الجنة البتة ، فسأله بعض الصحابة : أو بنتان أو أختان يا رسول الله ؟ فأجاب أو بنتان أو أختان " ^{٢٦}

^{٢٤} الإسراء ، آية ٢٣

^{٢٥} أنظر شرح السنة ١٣/٣ ، وفتح الباري ٢١٤/٥ .

^{٢٦} أنظر شرح السنة لأبي محمد الحسين البغوي ج ١٣ ، ص ٤٤ .

وفي حديث آخر في رواية لمسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله قال : " من عال جاريتين - يعنى بنتين - حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة ، أنا وهو هكذا (قال الراوي : ضم رسول الله - ﷺ - أصابعه تعبيراً عن شدة القربى والاتصاق) ".

فتتقيف البنات وتربيتها الرشيدة علي أسس قويمه وسليمه وخلق حسن فهي بالطبع ستكون الأم والزوجة الصالحة التي تملك السلامة النفسية ومن ثم ستكون أما وزوجة عظيمة فإذا لم تكن الأم حسنة التشئة ، فلا يمكن أن تحسن تشئة الغير ، ولا أن تقوم علي بيتها بما ينبغي ولذلك أوصى الرسول - ﷺ - : " تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس " ٢٧

فكفالة البنات ورعايتها في بيت أبيها من الأمور التي قررها الإسلام في تشريعاته العظيمة بل الرعاية هذه امتدت حتى إلى الجوارى ففي حديث البخاري : " أيما رجل كانت عنده وليدة (أي جارية) فعلمها ، فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها ، فله أجران " ٢٨

أجر تحرير العقل ، وأجر تحرير الجسم •

وامتدت الرعاية الاجتماعية كحق من حقوق البنات التي كلفها لها الإسلام حق اختيار الزوج الذي تريده شريكا لها في حياتها ، وذلك أخذ من ثبات حقها المشروع في إيداء الرأي وحرية التفكير ، فلا حجر ولا مصادرة لحريةها الفكرية وليس لوليها أن يختار لها شخصا معيناً ، حرصاً علي مال ، أو طمعاً في منصب رفيع ، وإن كان له حق التحري والنصيحة والتوجيه ، وفي الحديث الصحيح الذي ورد في أكثر من مصدر من مصادر السنة : " لا تتكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر " ، قالوا وما إذن يا رسول الله ؟ قال : صماتها أي سكوتها لأنها قد يغلبها الحياء ، ويأخذها الخجل ، فتسكت عن إظهار رغبتها ، وليس لوليها أن يجبرها على غير من ترضاه ، فقد صح أن فتاة جاءت إلى رسول الله - ﷺ - وقالت : يا رسول الله إن أبي زوجني من ابن أخيه ، ليرفع بي خسيسته ، وأنا كارهة فجعل رسول الله : الأمر إليها ، إن شاءت وافقت وإن لم تشأ رفضت ، فقالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت أن يعلم النساء ، أنه ليس إلى الآباء من الأمر شيء " ٢٩ .

²⁷ رواد مسلم في باب الرضاع، والنسائي في النكاح.

²⁸ البخاري في باب النكاح.

²⁹ رواد أحمد ، وابن ماجه ، والنسائي ، أنظر : تيسير الوصول ٢٦٤/٤ .

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

وقد روى : أن خنساء بنت حزام الأنصارية زوجها أبوها وهي ثيب من غير استثمارها فكرهت ذلك ، فأنت رسول الله وأخبرته ، فأبطل نكاحه ^{٣٠}.

وامتدت هذه الحرية الشخصية في الإسلام وتشريعاته العادلة إلى " الإماء " فهذه " بريرة " تلك الجارية التي كانت تعمل في خدمة السيدة عائشة أم المؤمنين ، قد أعتقها ، فغدت حرة ، وكانت من قبل متزوجة من عبد رقيق مثلها ويدعى " مغيثا " فلما تم عتقها أصبح لها حق الطلاق ، وخيرها رسول الله بين زوجها ، وبين البقاء معه ، فأثرت تركه فكان مغيث يتوجع ويبكى لأنه كان يحبها حبا جما ، أما هي فلم تأبه لذلك ، فلجأ " مغيث " إلى رسول الله - ﷺ - كي يستشفع له عند " بريرة " : فقال لها : لو راجعته ، قال : أتأمرني يا رسول الله ؟ ، فقال : إنما أنا شافع ، فقالت : لا حاجة لي فيه ، فتعجب رسول الله لهذا الموقف من بريرة ، وقال لعمه العباس : يا عم ، ألا تعجب من حب مغيث " لبريرة " وبغضها إياه ^{٣١}.

نخلص إلى قاعدة عظيمة أقرها الإسلام للفتاة البكر والمرأة الثيب إذا رضيت لنفسها أحد الأزواج ، ولم يقبله ولي أمرها ، فلها أن تلجأ للقاضي ليتولى عقد نكاحها من الزوج الذي اختارته شريكا لها في حياتها ، بل أكثر من هذا فهناك بعض المذاهب الفقهية تؤكد علي أن المرأة الحق أن تزوج نفسها دون اللجوء إلى القاضي ، شريطة أن يكون الزوج كفؤا ، وليس لوليها حق الاعتراض إلا عند انعدام الكفاءة ^{٣٢}. وقد جري العرف أن زواج الرجل العظيم ممن هي دونه لا يحط من شأنها ، لأنه عادة يرفعها إلى مستواه وتحمل أسمه ، أما المرأة العظيمة إذا تزوجت بمن هو أقل منها ، فإن ذلك يحط من شأنها ، ولا سيما وأن له حق القوامة في البيت.

وهكذا انتقل الإسلام بالفتاة من ذل وعار وجودها إلى الدنيا والتخلص منها بالوآد إلى المساواة الكاملة شأنها شأن أخيها الولد ، وإلى فرض الحقوق الإنسانية والنفسية والاجتماعية في مساواتها مع أخيها في المعاملة ، ومراعاة مشاعرها ، بل أنه إذا وجد التمايز والتفضيل في داخل الأسرة فتكون هي الأحق به ، وبهذا التشريع والتقرير للفتاة في بيت أبيها وهي بنتا ، باعتبارها

³⁰ رواه البخاري والنسائي : ٨٦/٦ وابن ماجه برقم ١٨٧٣ ، وأبو داود في باب النكاح رقم : ٢١٠١.

³¹ أنظر صحيح البخاري ١٦٩/٣ ، ومسند أحمد ٨١/٦ ، وشرح السنة ١٠٩/٩ أنظر نيل الأوطار للشوكاني.

³² ومعايير الكفاءة تكون في فارق السن ، المركز الاجتماعي والثقافي والوضع العائلي والجنور الممتدة في واقع المجتمع لهذه العائلات.

زوجة ، وباعتبارها أما ، وبطبيعة الحال فإن هذه الحقوق لن نتأكد ولا يحسن استخدامها في أي مجتمع إلا إذا وجد فيه العلم وفاعليته في ثقافة هذا المجتمع لكلا الطرفين الرجل والمرأة والولد والبنات وهذه حقيقة وتطبيقاً منذ العهد النبوي ولكن من المؤسف أن سوء التطبيق بعد العهود الأولى لازم في كثير من الأحيان التشريعات الإسلامية المنصفة للمرأة ومن ظلم وغبن ، وأستحدث تفسيرات ظالمة لحقوق المرأة في كثير من أوضاعها ، حتى وصلت في بعض الأحيان إلى عصر الجاهلية والظلمات وأحسب أن ما يحدث الآن في أفغانستان من إغلاق للمدارس والجامعات في وجه الفتيات ، وحجب النساء من ممارسة العمل باسم الإسلام فيه ظلم بين لهذا الدين وللمرأة ، مما أساء لصورتهم أمام العالم أجمع والإسلام في الأول والآخر بريء مما يعملون .

والآن أتناول نماذج حية لواقع المرأة المسلمة في العهود الأولى والتي مارسها المرأة بكل اقتدار وكفاءة لأوجه النشاط الثقافي والعلمي والسياسي والاجتماعي دون حجر عليها أو تشكيكا في قدراتها بل أكثر من ذلك هناك من الرجال من تعلموا وأجيزوا من بعض النساء لفروع العلم والمعرفة المختلفة من رواية الحديث والفقه ، وقراءة القرآن ، وعلوم اللغة العربية ، وغيرها ومنهن من أقمن المشاريع الخيرية التي أصبحت مضرب الأمثال في الجود والكرم ، ومنهن من أوقفن الأوقاف علي هذه المشاريع الخيرية ، بعبارة موجزة . أن المرأة المسلمة لم تقل في العطاء عن الرجال ، ولم يوجد من يستنكر عليها هذه الأمور من فتيا ورواية الحديث ، أو اجتهد في حكم الأحكام الشرعية .

كما نسمع الآن من الذين يشككون في قدراتها أو يطالبونها بالانسحاب من الساحة لتتسع الفرص أمام الرجال ، أو لعدم تأهيلها من الخالق سبحانه بالإمكانات التي تسمح لها بالمشاركة في المجالات المتنوعة شأنها شأن الرجل الذي يوجد منهم من هو صاحب القدرات المتميزة ، ومنهم المفلس منها ، وهذا هو شأن البشر سواء في عالم الرجال أو النساء ، وأنه من العدل أن تتاح الفرص للجميع ثم يتنافس المتنافسون دون وضع العراقيل والأسلاك الشائكة أما المرأة والادهي من ذلك أن هذا العمل يغلف باسم الدين الإسلامي والدين بريء من هذا الظلم والغبن للمرأة لأن الشريعة الإسلامية حررت المرأة من كل حيف وجور وسأوت بينها وبين

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

الرجل بكل تنسيق وتقدير لدور الطرفين^{٣٠} من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحنيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون^{٣٣}.

وفي قوله تعالى : " ومن يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا^{٣٤} .

المرأة في العهد النبوي

لقد حفلت صحف السير والسنة والتاريخ علي كثير من فضليات النساء ممن كان لهن دور بارز في هذا العهد ، سوف أسوق منه نماذج في أوجه الحياة المختلفة حتى تكون درسا عمليا لفتياتنا والوقوف علي حقائق الأمور بعد أن اختلطت بهذه المسألة الكثير من الشوائب والأغاليط والاجتهادات^{٣٥}.

فقد شاركت المرأة المسلمة في أدق المسائل وأخطرها ولم يكن هذا محل إنكار في عهد النبي ﷺ ولا في عهد خلفائه الراشدين ، ويذكر القرآن الكريم المرأة التي أخذت تجادل الرسول ﷺ في أمر زوجها : " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما^{٣٦} .

وتذكر لنا كتب السيرة الحادثة الشهيرة بين عمر - رضي الله عنه - حينما أخذ يدعو إلى عدم المغالاة في المهور ، حتى يخفف من أعباء الزواج علي الراغبين فيه ، فقد خطب ودعا إلى ذلك في المسجد ، ووقفت امرأة من عامة الناس ، تناقشه في هذه المسألة محتجة بإيات القرآن الكريم التي تنهى عن ظلم المرأة في حقوقها : " وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا^{٣٦} .

³³ سورة النحل . الآية ٩٧ .

³⁴ سورة النساء ، الآية ١٢٤

³⁵ سورة المجادلة ، الآية ١

³⁶ سورة النساء ، الآية ٢٠

المرأة المسلمة تشارك في الحروب والغزوات :

منهن أسماء بنت أبي بكر الصديق ، فقد شهدت واقعة اليرموك مع زوجها الزبير ، وأبلى فيها بلاء حسنا ، فاتخذت خنجرا من سعيد بن العاص في الفتنة ، فوضعت تحت مرفقها ، فقيل لها : ما تصنعين بهذا ؟ قالت : إن دخل علي لص بعجت بطنه وفرض عمر بن الخطاب لأسماء ألف درهم . ومنهن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، فقد شهدت اليرموك ، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود خيائها ، وشهدت الفتح . ومنهن أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية فقد أسلمت وبايعت بعد الهجرة وكانت السيدة عائشة - رضي الله عنها - أعلم الناس يسألها أكابر الصحابة ، ويذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ عن عائشة رضي الله عنها أن من أكبر فقهاء الصحابة يرجعون إليها ، ويروي عن قتيبة أنه قال : عائشة أعلم الناس يسألها أكابر الصحاب .

فكانت رضوان الله عليها أعلم الناس بالقرآن الكريم والفرائض ، والحلال والحرام . وأخرج الحاكم عن عطاء قال : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة ، وأخرج الحاكم عن الزهري : قال لو جمع علم الناس كلهم ، ثم علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علما ومن الجدير بالذكر أن أذكر ما جاء عن الحافظ الذهبي في مشاركة المرأة في رواية السنة وتعليمها للناس قال : " لم يؤثر عن امرأة أنها كذبت في حديث " .

وقال الشوكاني : " لم ينقل عن أحد من العلماء بأنه رد خبر امرأة لكونها امرأة فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة .

ومن الصحابييات اللواتي كان لهن دور في رواية الحديث السيدة أسماء بنت عميس ، والمحدثات الفقهية زينب بنت سلمة المخزومية أمها أم سلمة زوج النبي ﷺ وكانت من أفقه نساء زمانها بالمدينة .

ومن المحدثات أم هانئ بنت أبي طالب ، ومنهن فاطمة بنت قيس القهرية ، ومنهن أم قيس بنت محص الأسدية وزينب عبد الله ، والتفقيه زوج عبد الله بن مسعود .

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

وشاركت المرأة في صدر الإسلام في الحياة الفنية ، فقد روي الطبراني عن أم سلمة قالت دخلت علي جارية لحسان بن ثابت يوم فطر نأثره شعرها معها دف فزجرتها ، فقال رسول الله ﷺ دعيها يا أم سلمة فإن لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا .

وخرّج مسلم عن عائشة قالت دخل أبو بكر وجاريّتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعث ، وهو معلوم بين الأوس والخزرج فقالت ليستا بمغنيين ، قال أبو بكر أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك في يوم عيد فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر لكل قوم عيد ، وهذا عيدنا ^{٣٧} .

وروي النسائي عن السائب بن يزيد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقال : عائشة تعرفين هذه ؟ قالت : يا نبي الله ، قال هذه قينة بنت فلان تحبين أن تغنيك فغنتها قال الأدوي : وروينا هذا الحديث في معجم الطبراني الكبير ، وهذا الحديث قوي الدلالة علي إباحة الغناء من الرجال والنساء ، وقوله قينة يدل علي أن هذه كانت صنعتها الغناء .

مشاركة النساء في عصر النبي ﷺ في الخدمات العامة والأنشطة فكن يداوين الجرحى ويحبسن أنفسهن علي خدمة وسقاية الغازين ، ويتعهدن بالدواء والعناية اللازمة لشفائهم . وشاركن في البيعة ، وهي أمر حيوي وخطير ، شاركت فيه المرأة ، عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية : قالت بايعتا رسول الله ﷺ .

وتشارك المرأة في الاحتفال بالعيد - عن أم عطية رضي الله عنها- قالت : " . . . كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى البكر من خدرها ، حتى نخرج الحيض فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم ، ويدعون بدعائهم ، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته ، وفي رواية : " ليشهدن الخير ودعوة المؤمنين " ^{٣٨} .

وكانت تقدم الطعام للضيوف . عن سهل - رضي الله عنه - قال : " لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي ﷺ وأصحابه فما صنع لهم طعاما ولا قربه إليهم إلا امرأته أم أسيد بنت

³⁷ أخرجه البخاري

³⁸ رواد البخاري ومسلم

ثمرات في تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام أمأته له فسقته تتحفه بذلك^{٣٩}.

مشاركاتها في النشاط المتنوع :

الهجرة من الوطن فرارا من المجتمع الكافر : عن مروان والمسور بن محرمة قالا :
وجاء المؤمنات مهاجرات ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ - وهي عاتق فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم^{٤٠}.

مشاركة المرأة في العمل المهني مثل الزراعة : عن جابر بن عبد الله قال : " طلقت خالتي فأرادت أن تجد نخلها (في فترة العدة) فزجرها رجل أن تخرج فأنت النبي ﷺ فقال : بلي فجدي نخلك فأنك عسي أن تصدقي أو تفعلي معروفا".^{٤١}

وعن عمر بن الخطاب أيضا قال : ٠٠٠ وكنا معشر قريش نغلب النساء قدمنا علي الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصخبت علي امرأتي فراجعته ، فأنكرت أن تراجعني قالت : ولم تنكر أن أراجعك ؟ فو الله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وإن إحداهن لتجهره اليوم حتى الليل ، فأفرعني ذلك^{٤٢}.

ونجد أم هانئ تجير محاربا ، وتشكو أخاها المعترض .

عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : ذهبت إلي رسول الله ﷺ عام الفتح فسلمت عليه فقال : " مرحبا بأم هانئ " فقلت : يا رسول الله : زعم ابن أمي علي (ابن أبي طالب) أنه قاتل رجلا قد أجرته فلان ابن هبيرة فقال رسول الله ﷺ : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ^{٤٣}.

³⁹ رواد البخارى ومسلم

⁴⁰ رواد البخارى

⁴¹ رواد مسلم

⁴² رواد البخارى ومسلم

⁴³ رواد البخارى ومسلم

الخاتمة :

انتهينا في الصفحات السابقة من بيان رعاية الشريعة الإسلامية للمرأة سواء كانت بنتاً أو امرأة ، وخصينا حديثاً لأهم قضيتين :-

الأولي : في بيان مفهوم الاستخلاف الإلهي للإنسان بجنسيته المرأة والرجل .

الثانية: أداة الاستخلاف الفاعل والمستتر لأمرنا الدينية والدنيوية وهو العلم، والذي ساوي فيه الإسلام بين المرأة والرجل، ثم بينا رعاية الإسلام للجانب النفسي والاجتماعي للمرأة بما يساوي ويعتادل مع الرجل، فليس الإسلام جنس أعلى وجنس أدنى؛ أو أقل درجة في نوع الإنسان، وما النصوص التي أحتج بها من لم يفقه النص الشرعي في القوامة وأنها تكليف وتنظيم وتوزيع لأدوار الحياة بشكل متوازن وليس تشريف نوع علي نوع كما يدعي بعض من ليس لديه لفقه النص .

وأخيراً قدمت نماذج لفاعلية المرأة المسلمة في العهد النبوي - فهم خصيت هذه الفترة حتى أقطع علي المزايدة من قبل بعض الآراء التي ترفض في عصرنا هذا أن تشارك المرأة في المجال السياسي أو الاجتماعي ، بل تصل الآراء إلى مطالبة المرأة أن تنسحب تماماً من الحياة الاجتماعية وأن تعود للبيت، وتختزل عند هذا الدور ، وأنه لا يخفي علي أحد أن هذا الرأي فيه جناية عظيمة خاصة أن هناك ما يزيد علي ٢٢% من المجتمع تعوله المرأة لأسباب كثيرة ومتنوعة نعرفها جميعاً ، وأنه رأي لا يخلو من الأنانية ، والرغبة في الانفراد بالساحة وبالقرار ، وهي وجهة نظر لا تخلو من عدم البصيرة ، أو بعد النظر لمسائل كثيرة تصيب الأسرة وتكون في أشد الحاجة لدور المرأة الإيجابي .

وأخيراً أقول : إن الإسلام يبارك عمل المرأة وعلمها ودورها في تعمير الكون شأنها شأن الرجل كل بحسب ما يملك من علم وقدرات ، والكل يؤجر علي ما يعمل خيراً كان أو شراً، وأخيراً أدعو الله أن يبصر الإنسان المسلم رجلاً أو امرأة إلى ما فيه خير الدين والدنيا وبأن الرجل والمرأة بعضهم من بعض ، وأن المرأة شقيقة الرجل .

وصدق الله العظيم في قوله : " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف " .^{٤٤}

وصدقت يا رسول الله : " إنما النساء شقائق الرجل .

^{٤٤} سورة البقرة ، آية ٢٢٨ .